مناقب

السيد أحمد الميرغني

بن السيد محمد عثمان الأقرب الميرغني
بن السيد محمد الحسن الميرغني

رضي الله عنهم

تأليف

المصطفى بن عبد الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ الإِعَانَةُ بَدْءاً وَخَتْماً، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، ذَاتاً وَوَصْفاً وَاسْمَاً

الحمد لله رب العالمين، حمد عبد معترف بالعجز والتقصير، حمداً يليق بذاته لذاته، المنزه عن الشبيه والنظير، والشكر له على أن هدانا لدين الإسلام، وإتباع سنة الهادي البشير النذير، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، الذين بذلوا أنفسهم في نصرة الدين بلا وهب ولا تقصير.

وبعد، فيقول العبد المفتقر لمولاه، رق الجناب الميرغني، المصطفى بن عبد الرحمن، أنه أمرني من لا تسعني مخالفته، أن أضع كلمات في مناقب أستاذي وسيدي ومولاي أحمد الميرغني، ابن أستاذي السيد محمد عثمان الميرغني، تشمل على ذكر نسبه الشريف، وميلاده، وبعض كراماته، فأجبته لذلك مستعيناً بحول الله تعالى وقوته، ومعتمداً على بركة الآمر والمأمور في حقه، مبتدءاً بذكر نسبه الشريف، فأقول:

هو الأستاذ الأعظم والملاذ الأفخم، سيدي السيد أحمد الميرغني، ابن قطب دائرة الأكوان، سيدي ومولاي السيد محمد عثمان، ابن غوث الوجود المحبوب عند الملك المعبود، سيدي ومولاي السيد محمد الحسن الميرغني، ابن ختم أهل العرفان، سيدنا السيد محمد عثمان، مؤسس هذه الطريقة الختمية، التي أشرق نورها في جميع الكيان، وامتد بمددها سائر الأخوان، وهو ابن الكبير والقلم الشهير، سيدي السيد محمد أبو بكر، ابن الغوث المحبوب مجلي الكروب، سيدي السيد عبد الله الميرغني المحجوب، ابن السيد إبراهيم، ابن السيد حسن، ابن السيد محمد أمين، ابن السيد علي ميرغني، ومنه صار لقبهم بلفظة الميرغني، ابن السيد حسن، ابن السيد ميرخودي، ابن السيد حيدر، ابن السيد حسن، ابن السيد عبد الله ، ابن السيد علي، ابن السيد حسن، ابن السيد حيدر، ابن السيد ميرخودي، ابن السيد حسن، ابن السيد أحمد، ابن السيد علي، ابن السيد إبراهيم، ابن السيد يحيى، ابن السيد حسن، ابن السيد أبو بكر، ابن السيد علي، ابن السيد محمد، ابن السيد إسماعيل، ابن السيد ميرخودي البخاري، ابن السيد عمر، ابن السيد علي، ابن السيد عثمان، ابن الإمام علي التقي، ابن الإمام حسن الخالص، ابن الإمام علي الهادي، ابن الإمام محمد الجواد، ابن الإمام علي الرضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام علي زين العابدين، ابن الإمام الحسين، ابن الإمام علي بن أبي طالب، كرّم الله وجهه،

وابن السيدة فاطمة الزهراء البتول، سيدة نساء العالمين، وبضعة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم.

فاعظم به من نسب طهره اللَّه تعالى من الرجس، بسابق عنايته الأزلية، لأنه جزء من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، وللجزء من العظمة ما للكل، وفيه قلت شعراً:

نسب شريف طاهر ومطهر ... قد خصه الرحمن منه بفضله

وحباه فضلاً من لدنه ورفعة ... بالمصطفى المختار خاتم رسله

صلى عليه اللَّه جل جلاله ... وكذا السلام يعم سائر أهله

نسألم اللَّهم بحرمة هذا النسب الشريف الطاهر، أن تجعلنا من حزبك المفلحين، وأن تدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، ووالدينا وأبناءنا، وعموم المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، آمين.

رضاءُ اللَّه علَى الأستاذِ سَيِّدنَا

الميرْغَنِي أَحْمَد فَرْد الكَمَالَاتِ

ولد الأستاذ سيدي السيد أحمد الميرغني، رضي الله تعالى عنه وأرضاه، ضحوة الاثنين، خمسة عشر من جمادى الأولى، سنة ألف ومائتين وأربعة وتسعين من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية، بالموضع الذي ولد فيه والده وعمه، رضي الله تعالى عنهما، فما أعظمه من موضع سطعت فيه شموس الأكوان، واستنار بنورها جميع البلدان، ولما برزت نفسه الطاهرة الزكية، من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، أشرقت البلدة بالنور، ودار الفرح والسرور، وأهتزَّ الكون طرباً بما ناله من تلك المنحة الجليلة، وكان والده الأستاذ إذ ذاك بدار الشايقية، فأرسل التلغراف إلى خليفة الخلفاء، الخليفة محمد محمد عثمان، أن يسميه بهذا الاسم، الذي يدل على حامديته لربه ومحموديته عند خلقه.

فكان رضي الله تعالى عنه جدير بذلك، ومنذ نشأ وهو في سن الطفولة، ألقى الله على قلبه محبة جده سيد المرسلين، صلى الله عليه وسلم ، وإنشاد مدائحه، التي هي من أعظم القربات عند الله تعالى، وعمره إذ ذاك خمس سنين، فانظر إلى هذا السيد الجليل، وما اختصه الله به من الفضل الجزيل، لأن من كان في مثل هذا العمر، لا تكون عنده هذه الحالة، إلا بعناية من الله تعالى، فكان يتخذ له منشدين، ينشدون له المدائح، ويجلس معهم إلى الثلث الأخير من الليل، لا يقوم عنه ولا ينام، ونحن جالسون معه في هذا المجلس الشريف، ولا يزال ملازماً على هذه الحالة، حتى كان بعد ذلك يجلس بنا إلى طلوع الفجر، ونصلي معه الصبح في جماعة.

ومن بركاته الفائضة عليَّ، وذلك سنة تسعة وتسعين ، وهوالعام الرابع من ولادته، أعطاني ورقة، وقال لي : اكتب فيها مدحة، وأنا قبل ذلك ما أنشدت بيتاً واحداً من الشعر، ولا قرأت علم العربية، ما يوهلني لإنشاد الشعر، ففي الحين فتح الله عليَّ من فيضه بقصيدة، قلتها في والده الأستاذ، سيدي محمد عثمان، وذكرته فيها بأبيات وهي هذه:

حمداً لرب الأنام الواحد الأزلي   كذلك شكراً مع الإبكار والأُصل
ثم الصلاة على المختارسيدنا   محمد خاتم الأنباء والرسل
وآله ثم صحب جاهدوا معه   ليشهروا ملة الإسلام في الملل
يا طالباً كل ما ترجوه من أمل   عرج إلى خيار الخلق والرسل
واقصد ختام الورى في كل نائية   كهف الشدائد حبراً واضح السبل
الميرغني الذي أنوار طلعته   كالشمس وقت الضحى والبدر في المثل
شيخ الطريقة فرداً لا نظير له   من الأنام على التفصيل والجمل
محمد ذاك عثمان الذي افتخرت   به الخلائق في علم وفي عمل
له الكرامات مثل الشمس ظاهرة   غوث غياث ملاذ الخائف الوجل
اغث اغث يا ابن خير الخلق من مضر   بعبدك المذنب العاري من العمل
وابنكم أحمد المحمود شميته   ذو المجد والمنن الكاسي من الحلل
حاز الفضائل قدماً من أكابره   شاعت فمحاسنه جلت عن المثل
اعظم به سيداً من نسل فاطمة   وجده المصطفى المختار في الرسل
صلى عليه إله الخلق ما هتفت   ورقاء ساجعة في الأيك والأثل
والآل والصحب مهما قال ذو وله   حمداً لرب الأنام الواحد الأزل

وكذا من إمداداته عليَّ، أني رأيته ذات ليلة في المنام، وقلت له: يا سيدي، إني ظمآن، فأمر لي بماء فشربت منه، فلما انتبهت من النوم، فتح اللَّه عليَّ ببركته بتأليف صلاة على جناب النبي الكريم، صلى اللَّه عليه وسلم، ورتبتها على حروف الهجاء، وسميتها [الأسرار النبوية والفيوضات الأحمدية في الصلاة على خير البرية]، ولا زالت بركاته وفيوضاته عليَّ، وعلى جميع محبيه ظاهرة عاطرة، أمدنا اللَّه والجميع بمدده ، ومدد آبائه وأبنائه، آمين.

رضاء اللَّه على الأستاذ سيدنا ** الميرغني أحمد فرد الكمالات

ولما بلغ من العمر ستة عشر سنة، حفظ القرآن الكريم غيباً، وقرأ بعضاً من علم الظاهر، من فقه ونحو، على بعض العلماء من محبيه، ولم تسعفه الأيام بالزيادة، لأنه نشأ في وقت حرج، كابد فيه من الشدائد ما لا يدخل تحت حصر، ولا يطيقه الفحول من الرجال مع صغر سنه، ومع ذلك قطعه بكامل الصبر وشدة العزم، وهذا الذي يحصل له من الشدائد، دليل ظاهر على رفعة قدره وكماله عند ربه، بدليل قوله صلى اللَّه عليه وسلم: [أشدكم بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل]، وقال الشيخ البوصيري، رضي اللَّه تعالى عنه:

لو يمس النضار هون من النار   لما اختير للنضار الصلاء

فكما لا تزيد النار الذهب إلا صفاءً وجمالاً، كذلك الشدائد لا تزيد الأنبياء والأولياء إلا رفعة وكمالاً، ومن ضمن ما كابده من الشدائد، قد تسلط عليه بعض أمراء المهدية بالأذى، فسلط الله عليهم الخليفة عبد الله، فمنهم من نفاه إلى بحر الجبل، ومنهم من سجنه حتى مات في السجن جوعاً وعطشاً، وما يدرون هؤلاء المساكين، بأن الله تعالى هو المحارب لمن آذي أوليائه، كما قال جل جلاله في الحديث القدسي: [من آذي لي ولياً فقد آذنته بالحرب]، أي أعلمته بأني محاربه، والعياذ بالله ممن كان الله محاربه.

وقد قلت فيها شعراً:

يا صاحب الفيض يا سر العنايات	ومنقذ الخلق من كل البليات
يا راقياً في المعالي فوق ذروتها	أعطاه رب العلى أعلى المقامات
الميرغني الذي أنواره سطعت	للعالمين وأجلت كل ظلمات
الخائف الله في سر وفي علن	الذاكر الله في غدو وروحات
الصائم القائم التالي إذا هجعت	عين الورى في رضا رب البريات
له كرامات عند الله ظاهرة	كالشمس باهرة وقت الظهيرات
كعبة القصد كنز السائلين إذا	أموا لساحته نالوا المرادات
غوث غياث الورى في كل نائبة	وكاشف كربهم في كل أزمات
يا صاحب السر ادخلنا بفيضك في	أعلى الترقي إلى كنه الكمالات
إني خويدكم يا سيدي كرماً	امنن عليَّ بإحسان ونفحات
وعم أهلي وإخواني كذا ولدي	بما يؤمنهم من كل روعات

واغفر لأمة خير الخلق قاطبة | يا رب وادخلهمو روضات جنات
ثم الصلاة على المختار سيدنا | محمد المصطفى ختم الرسالات
والآل والصحب ثم التابعين متى | غنت مطوقة فوق الأثيلات
أو ما ترنم عبد قال من وله | يا صاحب الفيض يا سر العنايات

اللَّهم إني أسألك بحرمة هذا الأستاذ، وآبائه وأبنائه، أن تحفنا بعنايتك العظمى، وتجلعنا من ورثة الفردوس المشاهدين لنورك، المتمتعين بقربك ودونوك، ووالدينا وأبنائنا، وعموم المسلمين، الحاضرين منهم والغائبين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

رضاءُ اللَّه علَى الأستاذِ سَيِّدنَا المِيرْغَنِي أَحْمَد فَرْد الكَمَالاَتِ

هذا ورضي اللَّه تعالى عنه، مع ما ذكرناه من معاناة الشدائد الحاصلة له، مجتهداً جداً في مطالعته، كتب السيرة النبوية، كسيرة إبن هشام، والسيرة الحلبية، وخلافها من سيرة جده سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام، حافظاً لغالب ما في هذه السير، من الغزوات والسرايا، والفتوحات، وسير الصحابة، رضوان اللَّه عليهم أجمعين، وكذلك كان يطالع كتب التاريخ، كمثل تاريخ الكامل، والخميسي، والجبرتي، وخلافها، فكان رضي اللَّه تعالى عنه متقناً ومستحضراً لما في هذه الكتب من تاريخ الأوائل، ويطالع كثيراً الفتوحات المكية للعارف باللَّه تعالى محي الدين بن العربي، وإحياء علوم

الدين، للعارف بالله تعالى سيدي أبو حامد الغزالي، والإنسان الكامل للعارف بالله تعالى سيدي عبدالكريم الجيلي، وخلافها من كتب السادة الصوفية، رضي الله تعالى عنهم، مع فهم ما فيها، وإدراك معانيها بفهمه الثاقب ونظره الصائب.

ولا يزال مستغرق الأوقات في ذكر مولاه، لأنواع العبادات والرياضات، والصوم ونوافل الصلوات، وتلاوة القرآن العظيم، وقراءة المسبعة، وأوراد لجده ختم العارفين، رضي الله تعالى عنه، ويميل كثيراً في عبادته إلى العمل، بما هو مذكور في [إحياء علوم الدين] للإمام الغزالي، كما شاهدت هذه الأحوال جميعاً منه. وكان رضي الله تعالى عنه ذا هيبة، تلوح عليه الأنوار، مسربلاً بالسكينة والوقار، يكرم الوافدين إليه، الطالبين لبره وإحسانه، فما قصده صاحب حاجة إلا وأناله من نواله الوافر، كما شاهدت ذلك منه، رضي الله تعالى عنه.

رِضاءُ اللَّهِ عَلَى الأُستاذِ سَيِّدِنا المِيرْغَنِي أَحْمَد فَرْد الكَمالاتِ

ولنذكر بعض كراماته التي أظهرها الله على يده، من غير قصد منه، لأني فهمت رضي الله تعالى عنه، أنه ممنوع من إظهار شئ من الحقائق في هـذا الزمن، الذي عمَّ فيه الظلام وانتشر، واختفى في كل الأولياء، واستتر، فمنها: أنه لما جاءوا إليه من الخرطوم، بامرأة مقعدة من نصفها الأسفل بداء الفالج، وذلك في عام ألف ومائتين وست وتسعين، من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية، ووقعوا بها على سيادته في شفائها، ففي الحين شفاها الله تعالى ببركته، فعسلكت هي ومن حضرنها من النساء، فرحاً بما نالته من تلك المنحة الجليلة. وكثيراً ما يأتي إليه المحبوب من الخرطوم في ذلك الزمن، بعضهم أصحاب أمراض، وبعضهم طالبون قضاء حاجة، فيرجع كل منهم بنيل مقصوده، من شفاء مرض وقضائ حاجة.

ومنها : أن الخليفة عبد الله على إبراهيم بك محمد حمزة، بتهمته له في سفر سلاطين من أم درمان، وأمر بسجنه، فلما أدخلوه السجن، حضر جماعته عند الأستاذ رضي الله تعالى عنه ، ووقعواد عليه في خلاصه من السجن، فقال لهم: إن شاء الله تعالى ربنا يخلصه، ولما خرجوا مت عنده تكلمت معه في قبول وقاعتهم، وخلاص المذكور من السجن، فأخبرني رضي الله تعالى عنه، بأن الخليفة عبد الله لا يفكه من السجن، حتى تفكه الحكومة، فحينئذ توقعت عليه، وقلت له: يا سيدي ما دام الأمر كذلك فاشملوه بنظركم، ليكون محفوظاً في نفسه من السفر إلى بحر الجبل، ويكون ما له محفوظاً من التغنيم لحين وصول الحكومة، فقال لي: إن شاء الله تعالى لا يحصل له ضرر

في نفسه، ولا في ماله، حتى تخلصه الحكومة، فكان كما قال رضي اللّه تعالى عنه.

ومن ضمن الأمراء الذين ذكرناهم بالآذى، عبدالباقي الحاج الماحي، كان حضر عنده ذات يوم، وأنا موجود معه، فتكلم مع الأستاذ بكلام غليظ، ولما خرج من عند الأستاذ، خرجت معه مقدماً له، فقال لي: إذا لم تجتهد في إصلاح الكلام، أسفرك إلى بحر الجبل، فلما رجعت منه، عرفت الأستاذ بكلامه معي، فقال لي: فلننظر أتسافر أنت إلى بحر الجبل، أم يسافر هو، فما مضت أيام قلائل، حتى غضب عليه الخليفة عبد اللّه، وسفره إلى بحر الجبل، كما قال الأستاذ رضي اللّه تعالى عنه.

ولما بنى زاوية والده الأستاذ رضي اللّه تعالى عنه، هو وصنوه الأمجد سيدي علي الميرغني، كان أحد الأخوان الذين يرفعون الخشب إلى سقف الزاوية، وهو الخليفة إبراهيم أحمد، رفع مع الإخوان خشبة ثقيلة، فلما وصلوا إلى السقف، سقطت من أيديهم، ووقعت على رأس الخليفة المذكور، فخرَّ مغشياً عليه، وصار في حالة منازعة الروح، فأخبر الأستاذ بذلك، فحضر سريعاً، ووقف عليه ،ففي الحين أفاق من تلك الحالة، ورد اللّه إليه روحه، ولم يحصل له منها ضرر، ببركة الأستاذ رضي اللّه تعالى عنه.

ومنها: أن أحد خلفائه، وهو الخليفة محمد أحمد، من قبيلة الجعليين، أصيب بداء الفالج، حتى أعجزه عن الحركة، فأحضروه بين يدي الأستاذ محمولاً على الأيدي، ووقعوا عليه في شفائه من هذا الداء العضال، فشفاه اللّه

تعالى ببركته، وقام على أحسن حال، بتمام الصحة، وكثير ما يأتي إليه من هو عقيم، فيرزقه اللَّه تعالى الذرية، ببركته كما شاهدنا ذلك منه رضي اللَّه تعالى عنه، ونفعنا اللَّه تعالى ببركته، وأمدنا بمدده، ومدد آبائه وأبنائه، وحشرنا في زمرتهم، ووالدينا وأبنائنا، وعموم المسلمين، الحاضرين منهم والغائبين، برحمتك يا أرحم الراحمين، آمين.

رضاءُ اللَّه علَى الأستاذِ سيِّدنَا الميرْغَنِي أَحْمَد فَرْد الكَمالَاتِ

ولما بلغ رضي اللَّه تعالى عنه من العمر، اثنين وخمسين سنة، أحبَّ لقاء اللَّه، وأحبَّ اللَّه لقاءه، فرجعت نفسه المطمئنة إلى ربها راضية مرضية، والتحق بالرفيق الأعلى مع الذين أنعم اللَّه عليهم، من النبيين والصديقين الشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، وذلك في ليلة الأربعاء، قبيل الفجر، خمسة عشر رمضان، سنة واحد وأربعين بعد الألف والثلاثمائة، من هجرة سيد المرسلين، صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أجمعين، وفي يوم إحتجاب طلعته البهية ولمعته النورية، أشتدَّ الكرب، وعمَّ الخطب، حتى ذهلت العقول، وآذنت الشمس بالأفول، فلولا أنه خلف ابنيه الكريمين، وصنوه الأمجد، لطاشت الألباب ، وخرس اللسان عن الخطاب، فتُسلِيَ

بوجودهم عن هذا الخطب الجسيم، والحادث الأليم، فسَّح الله في آجالهم، وأحيى بهبم طريقة جدهم، ومآثر آبائهم، آمين.

وفيه قلت شعراً:

فهم سادة قد طهروا قدماً … من الذنوب كما نص تبيان
حازوا من المجد أعلاه وأرفعه … وأحرزوا الفضل من بر وإحسان
فالله يبقيهمو والله يحفظهم … من كيد ذي حسد أة شامتٍ شان
والله يهدي بهم من في طريقتهم … حتى ينالوا بها جنات رضوان
ربي بحقهم هيئ لنا رشداً … واشرح لنا الصدر من بغي وعدوان
واغفر لأمة خير الخلق مغفرة … عزماً تنجيهمو من حر نيران
بحق أعلى الورى قرباً ومنزلة … محمد المصطفى من نسل عدنان
صلى عليه إلهي دائماً أبداً … ما صاح سرب القماري فوق أغصان
والآل والصحب ثم التابعين لهم … القائمين بهدي ثم إحسان

رضاءُ اللَّه علَى الأستاذِ سَيِّدنَا
الميرْغَنِي أحْمَد فَرْد الكَمالَاتِ

وقد رثاه تلميذه الخليفة مصطفى الملثم، فقال:

جل المصاب وعم الحزن والأسف ... واستحكم الخطب واستولى به اللَّهف
وأصبح الأمر في دهمايه جللاً ... تكاد منه شموس الأفق تنكسف
وقد دهى الناس من بدو وحاضرة ... رزءٌ عظيم فكل منهمو دنف
لم لا وقد نالهم من فقد غوثهم ... بؤس به القلب من فرط الأسى أسف
فما أشدهمو أحزاناً وأعظمها ... تحسراً عندما واروه وانصرفو
قد غيبوا تحت الثرى بطلاً ... عن شأو علياه أرباب العلى تقف
دعته حضرة قرب اللّه تكرمة ... له فلبى وهذا دأب من عرف
من للشريعة من للدين يكنفه ... من للحقيقة من يزهى به السلف
من للمقامات يرقى أوج أعظمها ... من للكلمات من باللطف يتصف
فقد مضى أرجل العلياء محرزها ... سبقاً مؤيد أهل الحق إن ضعفوا
من لم يزل فانياً في اللّه مصطلماً ... في ذكره وله في حبه شغف
ولم تزل في ارتياض المجد همته ... رفيعة ليس عن مرقاه تنصرف
أبو السيادة قطب الكون مفرده ... وفخره من له الإجلال والشرف
ذاك الإمام الكبير الشأن أحمد من ... بفضله شهد الأخيار واعترف
الميرغني الذي جلت مناقبه عن ... أن يحيط بها الحذاق أو يصف
رب الكمال عروس الحضرتين لا ... ريب طرازهما السامي به الطرف
ساقي الأكابر من صهباء حكمته ... راح الوصال فكم من كأسه رشف
العلم باللّه حقاً منه صرفه ... في شأنه العمل المرضي والزلف

تـرى الأنـام عكوفـاُ عنـد معهـده   مستمطرين بـه الفـيض الـذي ألـف
لـولا وثـوق بـأن الفضـل منـه وإن   تحجبـت ذاتـه بـاقي لمـا عكـف
يا كامـل النعـت عطفـاً منـك يتبعـه   توكيد فضـل علـى الأتبـاع ينعطـف
مـاذا عسـى فيكمـو يثنـي خويـدكم   ومدحكم نطقت قـدماً بـه الصـحف
السـر والبـر فـي تجليـك أنهمـا   نعـم العمـاد ونعـم الكنـز والخلـف
فجـد علينـا بمـا نرضـى بـه كرمـاً   فإنمـا منكـو تسـتوهب التحـف
إنـا نرجـى بـك المـولى ليـدخلنا   فمـن لهـم غـرف مـن فوقهـا غـرف
وإن يـديم لنـا أنـوار رشـدكمو   لتستضـئ بهـا أن أظلـم السـرف
سـحائب النـور لا تنفـك هاطلـة   على ضـريحكمو شـؤب بهـا وكـف
وصـلى ربـي علـى المختـار جـدكمو   بحر الكمال الذي منه الورى اغتـرف